التي جاء وقت لم يكن مرتفعا فيه سواها ، البندقية في يد المقاتل الفلسطيني الذي « اشترى » الوقت للمقاتل البطل في الجيوش العربية ليستعد لساعة القتال ، البندقية التي صنعت تاريخا ، في الوقت الذي صعبت وقست فيه صناعة التاريخ ، البندقية التي افتخر بها أمام العالم وقدس معناها القائد الفلسطيني ، هذه البندقية شاركت بكل قوتها في صناعة مجد حرب تشرين الخالدة ، لم يكن دورها رمزيا ولم يكن دورها ثانويا ولا هامشيا ، بل كان تعبيرا صادقا عن فهم حقيقة دورها الى جانب الجيوش النظامية ، عندما تخوض حربا عادلة ضد عدو مغتصب شرس : الاقتحام الاول مع الجيوش النظامية ، ثم الانتشار وراء خطوط العدو ، والعمل هناك على ارباك وعرقلة تحركه وتشتيت تنبهه ، وكذلك التوغل في أعماق العدو والحاق الاذى في منشآته العسكرية والمدنية وارباك حياته في كل مجال ، بهدف التأثير العسكري والمعنوي عليه في آن واحد . هذا الدور ذو الطابع « العصابي » ، يزداد تأثيره وفعله مع تصاعد العمليات العسكرية النظامية على الجبهة ، بمعنى أنه كلما ازدادت شراسة القتال ، توسعت دائرة تأثير العصابات وأخذ بالفعل العنيف على بنيان العدو وتماسك قواه .

ان هذا الدور العسكري ابان القتال ، على أساسيته وفعاليته ، ما هو الا جزء من معنى وجود الثورة وحجمها التاريخي خلال فترة اللاحرب في قضية حسم الصراع تاريخيا مع العدو الامبريالي الصهيوني لصالح استرداد فلسطين واقامة المجتمع الديموقراطي التقدمي على كامل التراب الفلسطيني . ان المعنى التاريخي لوجود الثورة الفلسطينية ولبقائها على أساس مبادئها ومنطلقاتها يكمن في تفجير حرب الشعب . وحرب الشعب بدورها لا تعني مطلقا أن « جحافل » الثورة الفلسطينية سوف تجتاح الارض المحتلة و« تدحر » الجيش الاسرائيلي وتحرر الارض ، تفجير حرب الشعب يعني في الاساس اطلاق طاقات الجماهير وحشدها وتجنيدها وادخالها مباشرة في أتون الصراع ، واستنهاض نضالها الثوري واستعدادها للمجابهة وللقتال ولتحمل التضحيات مهما بلغت ومهما طال زمنها . ترتكز هذه العملية كلها على ايمان الجماهير بحتمية النصر في نهاية المطاف ، والثورة ، بدورها التاريخي ذي النفس الطويل ، هي التي تزرع في الجماهير العريضة الثقة بالنصر ، والجنود والضباط في الجيوش النظامية هم أبناء الشعب وتشملهم العملية الثورية ضمن أي تحليل . من فهم في يوم من الايام ان تحرير فلسطين ، وتحليل الثورة لتحرير فلسطين ، بأنه لن يكون نتاج تلاحم دور الجيوش العربية النظامية مع الثورة وجماهيرها في الخارج والداخل ، يكون قد فهم المسألة بشكل خاطىء من الاساس .

لقد أثبتت حرب السادس من تشرين الاول المجيدة نفسها عقم التفتيش ومقاربة الحلول السلمية في ظل ميزان القوى الراهن . لو كان الامر غير ذلك لما خرجت الجيوش العربية الى القتال ، ولما كانت الحرب هي الحل الوحيد المتبقي . ان المراهنة على الاسلوب السلمي لحسم معادلة الصراع القائمة ، عقيمة وفاشلة . ولعل سير التطورات بعد وقف اطلاق النار يلقي مزيدا من الاضواء على صحة هذه المقولة . ولا نعتبره استباقا للاحداث القول بأن أية تركيبة للحل السلمي ، في الظرف الراهن ، ستكون هشة وضعيفة ومعرضة للاهتزاز ، وبالتالي لن يكون هناك استقرار ولا حل دائم . ان حالة القهر والظلم ستظل قائمة على الشعب الفلسطيني وعلى الشعب العربي كله ، وبالتالي فان الصراع مستمر واللااستقرار مستمر ، والثورة الفلسطينية قادرة ، برغم كل قسوة الظروف ، على « شراء » الوقت مرة اخرى حتى يستكمل النهوض الثوري شروطه ، لينطلق ويفجر الاوضاع من جديد ، حتى تنتهي الى الابد حالة القهر وتعود الامور الى نصابها في المنطقة .

بعد هذه النظرة السريعة الى أسس فهم الثورة الفلسطينية للحرب العربية المجيدة